



المصدر: مجلة الامان اللبنانية

التاريخ: ١٥ فبراير ٢٠٠٨

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

لمصر لا لفلسطين!
في مواجهة واجبات الأخوة والجوار والمشاريع
المعادية

بقلم: د. عصام العريان

مصر اليوم أمام اختبار حقيقي قد يكون سهلاً أمام البعض
وغالبيتهم من الشعب الذي يتحرك بفطرته وعاطفته، ولكنه
في جوهره صعب جداً أمام متخذ القرار المصري الذي
يتحمل مسؤوليته الآن أمام التاريخ.

الاختبار يتلخص في:

- ما هو الموقف الذي ينبغي أن تتخذه مصر إزاء ما
يحدث أمامها في غزة وفي فلسطين كلها؟
- هل بإمكان مصر أن تتجاهل ما يحدث وتصرف وجهها
إلى أي مكان آخر، وتتناسى أن هناك قضية اسمها
فلسطين، وشعباً يحاصر ويقتل كل يوم أمام شاشات
التلفزيون؟!

هناك مَنْ يروج لذلك الاختيار المستحيل، بل ويذهب إلى
أبعد من ذلك، فيدعو إلى تحصين الحدود في وجه أي
ارتباط عضوي وجغرافي بأرض فلسطين، بل يتمادى إلى
ما هو أكثر، فيرى أن تشارك مصر في حصار وتجويع
أهل غزة، والارتباط بالقوة الأشد فتكاً وتسليحاً في الشرق
(وهي الجيش الصهيوني) لإنهاء ما يُسمى القضية
الفلسطينية وفق هوى هذا العدو، هذا إن كان هناك حلٌّ
يطرحه العدو الصهيوني قابلاً للتحقيق أو يمكن تنفيذه على
الأرض.



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

أعلم أن من يتبنّى هذا الرأي الشاذ قلة نادرة، ولكن ارتفع صوتها في الأيام الأخيرة وشاركها في الرأي من لا يدرك خطورة ما يقول، ويصب في ذات الاتجاه أصوات لها قدر من العقل كان يمكن أن يحجزها عن الاندفاع في ذلك التوجه العجيب.

وإذا كان ذلك مستحيلاً جغرافياً وتاريخياً وعاطفياً وإنسانياً ودينياً وقومياً ووطنياً، بكل المعايير والمقاييس، أنه لا يمكن أن تتجاهل مصر ما يحدث أمام ناظرنا وعلى حدودنا وفي جوارنا، فما هي الاختيارات الأخرى أمامنا؟! خاصة أن الرئيس مبارك حدّد البوصلة في أن مصر لا يمكن أن تسمح بتجويع أهل غزة.

وقبل الإجابة فإننا نضع في اعتبارنا بعض ما أفرزته وقائع الأيام الأخيرة من معطيات.

أولاً: لم تنجح خطط العدو الصهيوني في حصار غزة لإحداث انقلاب على حماس؛ لا بالفلتان الأمني، ولا بالحصار والتجويع، ولا بالإضرار والإغلاق، وتأيد قطاع غزة لحركة حماس ما زال كبيراً جداً، بل تعاضم مع وقائع الأيام الأخيرة.

ثانياً: إن فريق رام الله بقيادة الرئيس عباس ألقى بثقله في الصفّ الصهيوني الأمريكي، ولو كان ذلك على حساب مصالح الأطراف الأخرى الفلسطينية أو العربية، ولو كان ذلك ضد مصر نفسها بتصدير مشاكل العدو الصهيوني إلى مصر؛ لأنه يضع شروطاً مستحيلة لإجراء حوار



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

وطني ومصالحة فلسطينية، ويرفض أي إصلاح حقيقي
وجاداً لحركة فتح أو لمنظمة التحرير الفلسطينية؛ مما أفقده
أي أوراق للضغط على مع العدو .

ثالثاً: إن الشعب الفلسطيني أدرك بفطرته ووعيه أن
الطريق الوحيد لتحقيق آماله في وطن حرٍّ ومستقلٍّ هو في
المقاومة وليس في المفاوضات، وتجلّى ذلك في الانتخابات
التشريعية الأخيرة ٢٠٠٦م، وفي استمرار تأييده لحركة
حماس في غزة وفي الضفة الغربية.

ومعظم استطلاعات الرأي تؤكد أنه في حال إجراء
انتخابات حرة جديدة بدون تزوير أو اشتراطات مانعة
فستفوز حماس بنفس النسبة أو بنسبة أكبر؛ وسبب ذلك -
ببساطة- أن الشعب الفلسطيني لا يبحث عن لقمة عيش أو
حفنة دولارات، ولكنه يريد العودة والدولة والحرية وتقرير
المصير.

وليس هناك أمل - ولو بسيطاً - لدى فريق رام الله بأن
يحقق أي نجاح في مفاوضات عبثية ماراتونية استمرت
منذ مؤتمر مدريد ١٩٩١م، مروراً باتفاق أوسلو، ثم واي
ريفر، ثم كامب ديفيد، انتهاءً بمؤتمر أنابوليس؛ حيث
اتضح للجميع أن الهدف الوحيد للعدو الصهيوني هو أمنه،
وتفريغ الدولة الصهيونية من الدخلاء العرب أصحاب
الأرض، وأن غاية ما يمكن الحصول عليه وفق
المفاوضات هو ٤٠% من الضفة الغربية مقطّعة الأوصال
ومفكّكة ومحاصرة. وبالتالي إذن فالاستمرار في المقاومة



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

كورقة ضغط وحيدة هو الأفضل لشعب ينتظر الاستقلال منذ ستين عاماً.

رابعاً: إن تكرار ما حدث في غزة من اجتياح للحدود واردٌ، ولكنه في المرة القادمة قد يكون في الاتجاه الآخر عبر معابر إيريز وغيره لتتجه الآلاف إلى أرض فلسطين وليس إلى أرض سيناء؛ بحثاً عن الوطن والحرية وليس بحثاً عن الطعام أو الشراب.

وإذا كان حصار الجوع والمرض دفع الفلسطينيين إلى المرور الآمن إلى أحضان إخوانهم المصريين فإن حصار الموت والعطش قد يدفعهم المرة القادمة إلى أرضهم، ولن تستطيع آلة الموت الصهيونية أن تقتل عشرات الآلاف أمام أنظار العالم، ولو حصدت أرواح بضعة آلاف في الاجتياح المرتقب فإنها لن تستطيع الاستمرار في القتل الجماعي مع إصرار الشعب الفلسطيني الذي يُقتل ببطء يومياً على انتزاع حقه الطبيعي في الحياة، وستكون هذه الانتفاضة (انتفاضة الموت من أجل الحياة) هي التي تغير وجه القضية الفلسطينية، بل قد تغير وجه المنطقة العربية كلها، كما غيرتها من قبل رحلة النزوح الجماعي تحت وطأة المذابح الصهيونية عام ١٩٤٧ و ١٩٤٨ م.

القرار المصري اليوم إما أن يكون في صالح مصر وفلسطين بتقوية الصمود والمقاومة ودفع الشعب الفلسطيني إلى الوقوف صفّاً واحداً ضد الخطط الصهيونية الرامية إلى تركيع فلسطين ومصر والأمة العربية كلها



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

لصالح عصر من الهيمنة الصهيونية، وإما أن يكون الاستسلام لتلك المخططات والرضا بالفتات واللهات وراء السراب الأمريكي الذي سيكون من نتائجه ما نراه اليوم من فوضى ضاربة في كل مكان حولنا وتوشك أن تحل بيننا.

لم يطالب أحدٌ مصر بدخول حروب أو شنّ غارات، ولكن المطلوب الآن مصرياً هو الإدراك الواعي لخطورة العدو الصهيوني ومخططاته، وليس لمعاناة الشعب الفلسطيني وآلامه فقط.

المطلوب الآن ليس مدّ الفلسطينيين بالسلاح أو الصواريخ والعتاد العسكري ليقوموا بمواجهة متكافئة مع آلة الحرب المدمرة الصهيونية، ولكن المطلوب هو تخفيف المعاناة وتقديم العون الإنساني: الغذاء والدواء والعلاج وحرية التنقل الآدمي عبر الحدود الطبيعية.

المطلوب الآن هو إعادة فتح معبر رفح بطريقة طبيعية دون تدخل من أطراف خارجية تمنع الفتح الطبيعي للمعبر، أي منع العدو الصهيوني والاتحاد الأوروبي من التحكم بهذا المعبر، وإمداد غزة بما تحتاجه من مواد أولية وتنشيط التنمية الاقتصادية، وغزة في النهاية هي حائط الصدّ الأول ضد الاجتياح الصهيوني لسيناء الخالية. والمطلوب الآن مراجعة شاملة وأمنية ودقيقة لاتفاقيات كامب ديفيد التي انكشفت سواؤها أمام الأنظار نتيجة الحصار الصهيوني لغزة وفلسطين، ولعل ذلك أحد فوائد أزمة معبر رفح.